

## المعجزة الصينية هل هي سراب ام ضباب اوشك ان ينقشع؟

حيرت الصين العالم بالنمو المتواصل والصادرات المتزايدة حتى غزت قلعة الرأسمالية في عقر دارها وبات مكتوب على امريكا ان تعاني من كل ما هو اصفر، فمازالت اليابان وكوريا وفيتنام وتايوان ونمور اسيا الاخرى ذكريات قائمة ماثلة سيئه ومؤلمه للعالم الغربي بزعامه امريكا.

فالنمو الصينى لم يأتى من فراغ ولم يكن كله حسنات كما يبدو فقد ظهرت الطبقة البرجوازية خارج منظومة الحزب ومعها الطبقة المتوسطة وزاد معدل نمو المدن على القرى والفجوة بين الاغنياء والفقراء وبنظرة سريعه لتاريخ الصين المثقل بالاستعمار والأمبرطوريات فى العصر القديم والثورات الداخلية والاحتلال اليابانى والحرب العالمية الثانية ووصول الشيوعيون بقيادة ماوتسى تونج الى السلطه فى عام 1949 والثورة الثقافية والتحول الى الاقتصاد الموجه وسيطرة الدولة على وسائل الانتاج وضمان العمل مدى الحياة فى العصر الحديث، كلها عوامل ساهمت فى صنع النجاح الصينى اليوم ولعل ابرز المحطات عندما اعلنت الصين فى عام 1978 عن رغبتها فى اجراء تحولات واصلاحات جذرية اقتصادية تبنت بموجبها لأول مره سياسة السوق الحر او الاقتصاد المفتوح وتشجيع الاستثمارات الاجنبية وهو ما يهدم قضية الشيوعية او الاشتراكية من جذورها.

بدء النمو يتسارع خلال السنوات التى تلت تحولها الى نهاية القرن العشرين واصبحت الصين قوة لا يستهان بها، ولكنها شأنها شأن كل الكبار لا بد ان تدفع ثمن لا احد ينجو منه مهما طال به الزمن، فعلى الرغم ان معدل النمو السنوى تجاوز ال 10% احيانا وبقي حوله غالبا (9.7% المتوسط للنمو على مدى ال 27 عام الماضيه اى يتضاعف الاقتصاد مره كل 10 سنوات) الا ان الانتاج الصناعى يدور حول معدل نمو 17% سنويا حتى استطاعت ان تزيج اليابان وتصبح ثانى اكبر اقتصاد فى العالم بعد امريكا والاقوى نسبيا، واصبح معدل نموها السنوى 17 مره اسرع من الولايات المتحده، وارتفعت اسواق الاسهم الصينيه 3500% خلال السنوات ال 10 الماضيه وارتفعت 600% خلال الأعوام الماضيه (2005-2007) وحدهم وبلغت 395% خلال ال 15 شهر الماضيه (شنغهاى كومبوزايت Shanghai Composite Index)، وارتفعت مبيعات التجزئه 21% فمبيعات السيارات بلغت 4.5 مليون سيارة داخل الصين وحدها فى مايو 2008 بزياده 17% عن مايو 2007 وفى نفس الوقت انخفضت مؤشرات الثقة فى الاقتصاد الامريكى الى ارقام لم ترى منذ 28 سنه.

وقد اعتمدت الصين على محاور الثروة الخامس الزراعة والصناعه والعلوم والتكنولوجيا والقوة العسكريه وبذلك اصبحت الصين القوة التى نعرفها اليوم وزاد معدل مساهمتها فى الاقتصاد العالمى اليوم بحوالى 15-17% بعد ان كانت حصتها حوالى 3%، فهى اليوم تقوم بالتصدير تقريبا لكل دول العالم بلا استثناء واصبح العجز التجارى الامريكى الشهرى مع الصين 20 بليون دولار ومرشح لمزيد من الارتفاع مما دعا امريكا الى التفكير بمنع دخول المنتجات الصينيه وهو امر مستحيل او بفرض

حماية على الاقل هي وكل اوربا ضد المنتجات الصينية مالم تسارع الصين برفع قيمة اليوان امام كل العملات وخصوصا الدولار مثلا الى 5 يوان لكل دولار بدلا من 6.70 يوان حاليا وهو امر ترفضه الصين تماما وتقول ان هذا الارتفاع قد يقوض قدراتها التنافسية مع كوريا واليابان وباقي النمر الصفراء وسيؤدى الى زعزعة النظام بالكامل وقلقل وثورات وعصيان مدني مالم يتم خلال 5-10 سنوات على الاقل .

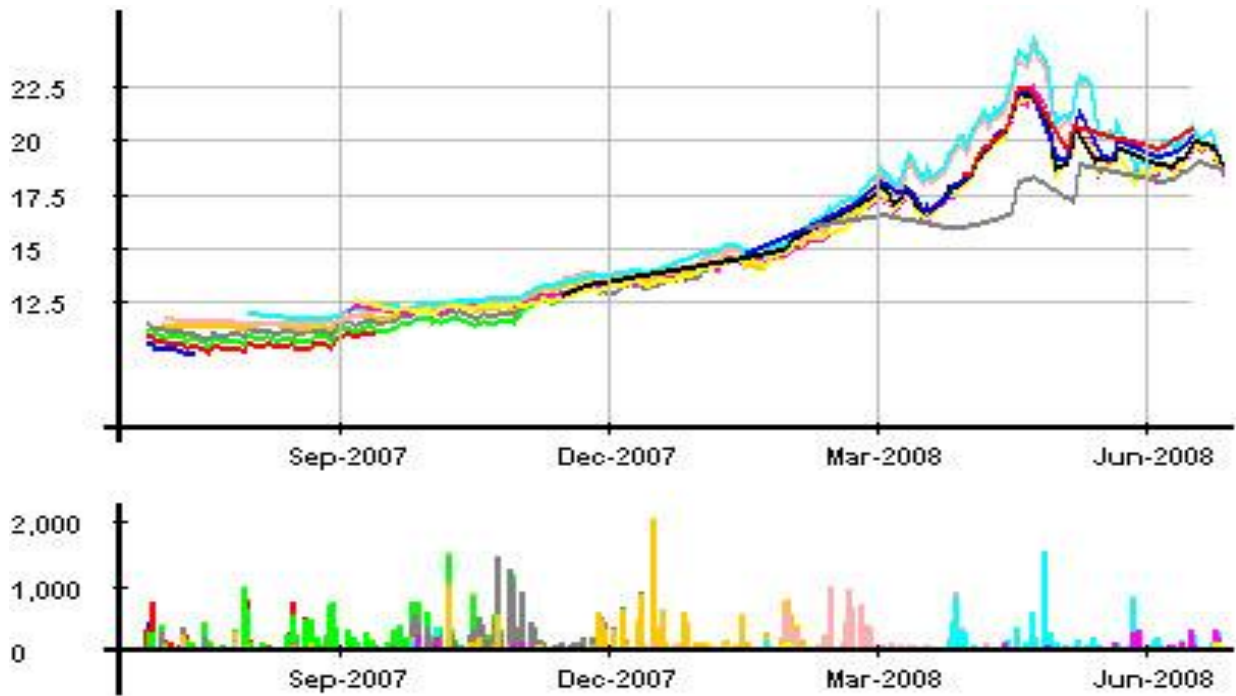
ان الصين اليوم تمتلك ما يزيد عن تريليون دولار من سندات الخزينة الامريكى بعد اليابان التى تقترب من حاجز ال 2 تريليون دولار والتي يعمل الدولار كعملة احتياط لهما، وهبوط الدولار يهدد الصين وتملك الصين لحوالى تريليون دولار بشكل عام يهدد الامن القومى الامريكى فلو قامت بطرح كل ذلك فى الاسواق مرة واحده يدمر الدولار واليوان معا فحالهما كمن يمسك بخناق بعضهما البعض ولا يبدوا فكاك قريبا، فأمريكا تريد الدولار هابطا لكي تجعل قيمة الاموال لدى الصين اقل كما ان ذلك يرفع اسعار السلع الاوليه مما يجعلها اكثر تكلفة فيمنع الصين من تملك حصة اكبر او شراء اكثر، والصين فهمت اللعبة واستجابت عن طريق شراء كثيف للسلع قبل ان يصبح الدولار ورق ملون، اذن كلاهما يراهن على الزمن الذى اصبح يلعب ضدهما معا.

ان الممارسات الامريكىة ضد القلعة الصفراء ممارسات عادية وطبيعية ومتوقعة فى ظل عدم التكافؤ الحالى وفى الواقع هي لا تحتاج ان تقوم بأى عمل على الاطلاق يكفى خفض الدولار مما سيؤدى الى رفع اسعار المواد الخام والطاقة وهو حاصل الان ولكنه الخوف هو ما يحركها ويحرك الصراخ الصينى من تلك الممارسات التى تعتبرها بكين بمثابة اعلان حرب، ان اكبر مشكلة تواجه الصين هي ان حاجتها الى المواد الخام تزيد بسرعة كبيره ويقدر معدل الزيادة السنوى فى وراقتها بحوالى 40% ورغم ذلك فإن ميزانها التجارى مازال يسجل فائض امام كل دول العالم فهى اليوم اكبر مصدر ومستورد فى العالم فهى تستورد المعادن والطاقة وخصوصا البترول، كل هذا ساهم فى صنع المارد الاصفر بعدد سكان حوالى 1.5 مليار نسمة وتكلفة اقل من عشر تكاليف المنافسين وعملة يتم اضعافها بشكل متعمد مع سياسة الاغراق للأسواق الخارجيه وتضخم يصل الى 12% حاليا، لكن هل هذا ادى الى رفع مستوى المعيشة ومكافحة الثلاثى المرعب الفقر والجهل والمرض؟

على الرغم من الصورة الخارجيه البراقة للصين واقتصادها الا ان الواقع اسوء بكثير مما يبدوا فمازال معدل الاجور وظروف العمل والفساد والحريات الاساسيه اسوء بكثير من اقتصاديات ودول اقل ناهيك عن النموذج الغربى المتقدم، اما الزراعة فمازالت هي الجزء الاكبر من اقتصادها حيث يعمل 60% من الشعب كمزارعين وبدون ضمان لوظائفهم كما كان الحال قديما وفقد الكثير من العاملين اعمالهم فى كل المجالات واصبح التلوث سمة رئيسيه للمدن الصينيه اما غياب الحريات الشخصية والتعذيب والاعدام فهى ممارسات يومية لم تعد تثير احد او تلفت انتباهه، وبقي مشكلة ان المجتمع يتحول الى مجتمع ذكورى

بسبب سياسة الطفل الوحيد وتناقص مساحات حقول الارز والذي اصبح يلتهم اكثر من 40% من الدخل العائلي وحده اما النظام الصحى او العلاج فهو بالكاد موجود اضافة الى ذلك ان مصادر المياه النقيه او حتى مواردها المائية بشكل عام محدودة للغاية وتتناقص بسرعة البرق وهى عوامل حتى بدون تدخل امريكى كافية لتحجيم الصين ان عاجلا او اجلا او حتى تدمير البنية التحتية لها بسبب الاضراب والعصيان المدني وهو ما تراهن عليه الغرب وقد يدفع كل جيران الصين الثمن لاحقا والعالم من وراهم وهو امر حتما سيقع ولا حول ولا قوة الا بالله.

### اسعار الارز وقد قفز سعرها الى اعلى بجنون



ان الصين للأسف حينما ارادت ان تهمز الرأسمالية لجأت الى الرأسمالية فانتهجت الاقتصاد المفتوح وارتدت الجينز واكلت الهمبرجر وشربت البيبسى وشردت العمال ورفعت الاسعار وتعلمت الاحتكار وتفقيس المليونيرات كل ساعة وتناست ان كل من سبقهما وحذا حذوهما هو الان اكثر معاناة ، ان الصين بدأت فى التخلي عن اهم ما ميزها وهو شرقيتها وجذورها الضاربة فى اعماق التاريخ وبدلا من ان تقدم النموذج الشرقى للغرب تبنت النموذج الغربى فى الشرق وبذلك يكون الفوز من نصيب الغرب بزعامة امريكا حتى لو كانت الحرب الوحيدة التى ستخسرهما امريكا، فقد اثبتت ان الاضواء اهم من الاخلاق والهمبرجر اهم من قميص ماو ففى الحرب والحب كل شىء متاح ولا عزاء او بكاء الا للأغبياء.

بواحد عصام (تايان)

الكويت فى 2007/6/27